القول المبين

في

آيات النبيين ﷺ

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار الخزانة

هاتف: ٠٠٩٦٥٩٠٩٠٩٢١١ – ٠٠٩٦٥٥٥٩٥٧١٠٣

dar.alkhezanah@gmail.com

تطلب جميع كتبنا من:

دار ابن قتيبة – الكويت: ٠٠٩٦٥٩٧٦٩٨٧١٧

مكتبة الإمام الذهبي – الكويت: ٠٠٩٦٥٩٤٤٠٥٥٥٩

مكتبة التراث الذهبي – الرياض: ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

دار روائع الأثير – الرياض: ٠٠٩٦٦٥٠١٢٨٧٠١١

دار منار التوحيد – المدينة المنورة: ٠٠٩٦٦٥٠٢٢٤٧٢٣١

القول المبين
في
آيات النبيين

احتوى على تأصيلات شيخ الإسلام ابن تيمية

في باب (المعجزات)

تأليف

يوسف بن علي الطايي

دار الخزانة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الأنس والجن لعبادته، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]،

ولما كانت عبادته مبنية على اتباع أوامره واجتناب نواهيه كان لا بد من تعريفهم بالأوامر والنواهي، فاقتضت حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبعث الرسل مبينين شريعته، مبشرين الطائعين، محذرين العاصين.

وقد أيدهم تعالى بالآيات والبراهين، المصدقة كونهم منه مرسلين، وعنه مبلغين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد:٢٥].

وقال: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ [آل عمران:١٨٣].

وقال: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

وقد اعتنى أهل العلم ببيان خصائص الآيات والبراهين التي أيد الله تعالى بها النبيين، واعتنوا ببيان ما يميزها عن كرامات الأولياء، وعجائب السحرة والمشعوذين.

ولشيخ الإسلام في هذا الباب بحوث متألقة، وجمل محققة، في كتبه مفرقة، فكثير منها في كتابه النافع (النبوات)، وفي (شرح الأصبهانية) مسائل مهمات، وفي (الجواب الصحيح) فوائد عزيزات، وسائرها في غير ذلك من آثاره النافعات.

وفي هذا المختصر جمعت الكثير من المسائل والدلائل التي اعتنى ببيانها شيخ الإسلام رومًا لتيسير الوقوف عليها، وفهم المعتقد الصحيح في هذا الباب، ومعرفة وجه خطأ من خالف الحق فيه والصواب، ورتبت تلك المسائل والدلائل، وجعلت كل ما كان منها مجتمعا في معنى واحد تحت باب معنون بعنوان مناسب.

فالكتاب مجموع من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ولي فيه تعليقات يسيرة أربط فيها بين المسائل وأوضح بعضها، وسميته:

(القول المبين في آيات النبيين)

وهو مشتمل على عشرة أبواب وخاتمة، ترتيبها كما يلي:

- **الباب الأول:** في بيان أهمية معرفة المعتقد الصحيح في آيات الأنبياء.
- **الباب الثاني:** في ذكر أسماء ما جعله الله أدلة مستلزمة صدق الأنبياء.
- **الباب الثالث:** في ذكر تعريف الآيات شرعًا، واشتراط خرقها لعادة الثقلين.
- **الباب الرابع:** في بيان كون دلائل النبوة غير محصورة في الآيات.
- **الباب الخامس:** في بيان بعض أقسام الآيات.
- **الباب السادس:** في بيان كون كرامات الأولياء من آيات الأنبياء.
- **الباب السابع:** في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء.
- **الباب الثامن:** في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان.
- **الباب التاسع:** في نقد معتقد المعتزلة في آيات الأنبياء.
- **الباب العاشر:** في نقد معتقد الأشاعرة في آيات الأنبياء.
- **الخاتمة:** في ذكر نتائج الأبواب السابقة.

الباب الأول

في بيان أهمية معرفة المعتقد الصحيح في آيات الأنبياء

إن فهم المعتقد الصحيح في آيات الأنبياء، والفروق بينها وبين كرامات الأولياء، وما يكون للسحرة ومن شابههم يعني إدراك الفهم الصحيح للآيات والأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الموضوع، ولا شك أن هذه غاية لها مكانتها وشأنها.

وبالفهم الصحيح لهذا الموضوع أيضًا نجاة من الأقوال المنحرفة التي كانت نتيجة للزيغ في فهمه.

فالمعتزلة لمَّا ظنوا أن الخوارق بأنواعها دالة على نبوة من حصلت على يديه نفوا الكرامات وما يكون للسحرة من هذا رومًا للتمييز بين الجنسين.

والأشاعرة لمّا رأوا أن خرق العادة جائز مطلقًا قالوا: كل ما حصل لنبي من هذا القبيل جائز أن يكون للأولياء، بل وللسحرة والكهان، وفرقوا بين آيات الأنبياء وغيرها بأن قالوا: آيات الأنبياء

يكون معها دعوى النبوة مع التحدي والعجز عن معارضتها، بخلاف غيرها.

وسيأتي بيان بطلان ما قالوه.

ومن عرف (**القول المبين في آيات النبيين**) نجا من أقوال الزائغين، فأثبت الكرامات، وما يكون من أفعال السحرة والكهان، وظهر له الفرقان بينها وبين الآيات، وهذا ما ستقف عليه في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

قال شيخ الإسلام مبينًا أهمية هذا الموضوع: (فإن الكلام في المعجزات، وخصائصها، والفرق بينها وبين غيرها من أشرف العلوم، وأكثر أهل الكلام خلَّطوا فيه تخليطًا)[١].

ونبه على حاجة الناس لمعرفة الفرقان بين آيات الأنبياء، وأفعال السحرة والكهان في معرض ذكره الفرق بينها، فقال: (فينبغي أن يتدبر هذا الموضوع، وتعرف هذه الفروق الكثيرة بين آيات الأنبياء وبين ما يشتبه بها، كما يعرف الفرق بين النبي والمتنبي، وبين ما يجيء به النبي وما يجيء به المتنبي.

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (١٥٣).

فالفرق حاصل في نفس صفات هذا وصفات هذا، وأفعال هذا وأفعال هذا، وأمر هذا وأمر هذا، وخبر هذا وخبر هذا، وآيات هذا وآيات هذا، إذ الناس محتاجون إلى هذه الفروق أعظم من حاجتهم إلى غيره، والله تعالى يُبيِّنه ويُيسِّره)[١].

(١) النبوات (١/ ١٥٢).

الباب الثاني

في ذكر أسماء ما جعله الله أدلة مستلزمة صدق الأنبياء

لَمَا جعله الله تعالى أدلة مستلزمة صدق الأنبياء أسماء، وقد وقفت بالنظر في كلام شيخ الإسلام على ثمانية منها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء.

ويسميها من يسميها من النظار: «معجزات».

وتسمى: «دلائل النبوة» و «أعلام النبوة».

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ «المعجزات» موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ «الآية» و«البينة» و«البرهان»)[(١)].

وقال: (كما أن بعض النّاس يجعل اسمها أنّها «عجائب»)[(٢)].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).

(٢) النبوات (٢/ ٨٢٩).

وقال: (فالذين سمّوا هذه الآيات: «خوارق للعادات»)[(١)].

فهذه ثمانية أسماء جاءت في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسأجعل الكلام عليها في قسمين:

الأول: الأسماء الواردة في النصوص الشرعية، وهي حسب ما وقفت عليه في كلام شيخ الإسلام ثلاثة[(٢)]:

١- الآية:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٣-١٢٤].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء:١٠١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن**

(١) النبوات (٢/ ٨٤٨).

(٢) وهناك اسم آخر ورد في القرآن نبه عليه بعض أهل العلم، وهو السلطان: قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم:١٠].
قال ابن كثير: (﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أيْ: خَارِقٍ نَقْتَرِحُهُ عَلَيْكُمْ).

عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[(١)].

ومعنى الآية: العلامة.

٢- البرهان:

(كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] في العصا واليد.

وقال الله تعالى في حق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤])[(٢)].

ومعنى البرهان: الحجة.

٣- البينة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥].

وقال: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ [آل عمران:١٨٣].

ومعنى البينة: الحجة الواضحة.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).

الثاني: الأسماء الواردة في كلام أهل العلم، وهي حسب ما وقفت عليه في كلام شيخ الإسلام خمسة:

١- العَلَم:

وقد ألَّف الماوردي كتابًا في آيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سمَّاه (أعلام النبوة).

ومعنى العَلَم: العلامة.

٢- الدليل:

وقد سمى الفريابي كتابه في آيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (دلائل النبوة)، والبيهقي كذلك.

ومعنى الدليل: المرشد.

٣- المعجزة:

وهذا أشهر هذه الأسماء، وهو: اسم فاعل من الإعجاز قال شيخ الإسلام: (اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره)[(١)].

وسميت الآية به؛ لعجز الثقلين عن الإتيان بمثلها.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ٥).

هذا بناء على أن الآيات يشترط فيها عدم قدرة الإنس والجن على معارضتها، وسيأتي بسط المسألة في الباب القادم، وذكر كلام شيخ الإسلام في تقريرها.

وهذا الاسم جاء في كلام السلف إلا أنهم لا يخصون آيات الأنبياء به، فيطلقونه أيضًا على كرامات الأولياء، خلافًا للمتكلمين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزا إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة.

والسلف -كأحمد وغيره- كانوا يسمون هذا وهذا معجزًا، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات، إذ لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه.

وقد يسمون الكرامات آيات، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهانا، وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي)[1].

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٤١٩).

وقال أيضًا: (وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها «الآيات».

لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق)[١].

٤- خارق العادة:

والخارق اسم فاعل من الخرق، وسميت الآية به، لكونها تأتي على خلاف ما هو معتاد للإنس والجن.

٥- العجيب:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال): (**وأما قوله: «التعجب: استعظام للمتعجب منه»، فيقال: نعم. وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره**)[٢].

وهذا المعنى الثاني هو الذي لأجله تسمى الآيات بالعجائب، فهي عجائب؛ لخروجها عن نظائرها، وعدم وجودها لغير الأنبياء.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ٥).

(٢) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (٥٧).

قال شيخ الإسلام في بيان معنى تسميتها بـ«خارق العادة» و«الأمر العجيب»: (جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم بالآيات، والدلائل الدالّة على صدقهم التي يعلم العقلاء أنّها لم توجد لغيرهم، فيعلمون أنّها ليست لغيرهم لا عادةً، ولا خرق عادة.

بل إذا عبّر عنها بأنّها «خرق عادة»، وبأنّها من «العجائب»، فالأمر العجيب: هو الخارج عن نظائره.

وخارق العادة: ما خرج عن الأمر المعتاد.

فالمراد بذلك: أنّها خارجة عن الأمر المعتاد لغير الأنبياء، وأنّها من العجائب الخارجة عن النظائر، فلا يُوجد نظيرها لغير الأنبياء)[١].

وهذه الأسماء الثلاثة الأخيرة تشترك فيها الآيات وغيرها، فهناك ما يفعله بعض السحرة مثلًا، فيكون معجزًا لقوم ما، وخارقًا، وعجبًا.

وكذا كرامة الولي فيها معنى الإعجاز، والعجب، وخرق العادة.

---

(١) النبوات (١/ ٥١٨).

ومن هنا بين شيخ الإسلام أن استعمال هذه الأسماء ينبغي أن يكون مقيدًا بما يدل على إرادة آيات الأنبياء به.

ومن هنا أيضًا بين أن استعمال الأسماء القرآنية أولى؛ لكونها أدل على المقصود.

قال شيخ الإسلام: (وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ «المعجزات» موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ «الآية» و«البينة» و«البرهان»)[١].

وقال: (اضطربوا في مسمّى المعجزات، ولهذا لم يُسمّها الله في كتابه، إلا آيات، وبراهين.

فإنّ ذلك اسمٌ يدلّ على مقصودها، ويختصّ بها، لا يقع على غيرها.

لم يُسمّها «معجزة»، ولا «خرق عادة»، وإن كان ذلك من بعض صفاتها، فهي لا تكون آيةً وبرهانًا حتى تكون قد خرقت العادة، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).

لكن هذا بعض صفاتها، وشرط فيها، وهو من لوازمها، لكن شرط الشيء، ولازمه قد يكون أعمّ منه.

وهؤلاء جعلوا مسمّى «المعجزة» و«خرق العادة» هو الحدّ المطابق لها طردًا وعكسًا، كما أن بعض النّاس يجعل اسمها أنّها «عجائب».

وآيات الأنبياء إذا وصفت بذلك فينبغي أن يُقيّد بما يختصّ بها.

فيقال: العجائب التي أتت بها الأنبياء، وخوارق العادات، والمعجزات التي ظهرت على أيديهم، أو التي لا يقدر عليها البشر، أو لا يقدر عليها أحد بحيلة واكتساب، كما يقدرون على السحر والكهانة.

فبذلك تتميّز آياتهم عما ليس من آياتهم)[1].

(١) النبوات (٢/ ٨٢٩).

الباب الثالث

في ذكر تعريف الآيات شرعًا، واشتراط خرقها لعادة الثقلين

ذكر شيخ الإسلام في أكثر من موضع في (النبوات) كلامًا يصح أن يجعل تعريفًا شرعيًّا للآيات.

فمن ذلك قوله: (آيات الأنبياء: هي شهادة من الله، وإخبار منه بنبوتهم)[١].

وقوله: (هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم)[٢].

وقوله: (ثم إنّه سبحانه جعل مع الرسل آيات هنّ: علامات وبراهين، هي أفعال يفعلها مع الرسل، يخصُّهم بها، لا توجد لغيرهم، فيعلم العباد -لاختصاصهم بها- أنّ ذلك إعلام منه للعباد، وإخبار لهم أنّ هؤلاء رسلي)[٣].

---

(١) النبوات (٢/ ٩٨٤).

(٢) النبوات (١/ ٢١٣).

(٣) النبوات (٢/ ٧٧٨).

وقوله: (فإن قيل: قد ذكرتم أن آيات الأنبياء: هي الخوارق التي تخرق عادة جميع الثقلين، فلا تكون لغير الأنبياء، ولغير من شهد لهم بالنبوة.

وهذا كلامٌ صحيحٌ، فصلتم به بين آيات الأنبياء وغيرهم بفصلٍ مطّرد منعكس)[1].

ويستفاد من مجموع كلامه كون الآيات: **خوارق لعادة جميع الثقلين يفعلها الله مع الرسل إخبارًا منه بنبوتهم.**

فيشترط في آيات الأنبياء أن تكون خارقة لعادة الإنس والجن.

وقد بيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن اشتراط كونها خارقة لعادة الثقلين فارق بينها وبين عجائب السحرة والكهان، واعتنى ببيان وجه اشتراط ذلك، وإليك بعض كلامه في ذلك:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (لا بُد أن تكون [أي: آيات الأنبياء] مما يعجز عنها الإنس والجن، فإنّ هذين الثقلين بُعث إليهم الرسل، كما قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ

(١) النبوات (٢/ ٨٦٣).

ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر:٧١].

والإنس والجنّ منهم من آمن بالرسل، ومنهم من كذّبهم، فلا بُد أن يكون مما لا يقدر عليها جنس الإنس والجنّ.

فما كان الإنس أو الجن يقدرون عليه فلا يكون وحده آية للنبي)[١].

وقال: (وقد قلنا: إنّ آيات الأنبياء التي اختصوا بها خارجة عن قدرة الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨])[٢].

وتتعلق بهذا الشرط مسائل مهمة، أوجزها في النقاط التالية:

١- بيَّن شيخ الإسلام أن العادة في هذا الباب تثبت بمرة، فما وجد مرة واحدة مع غير دعوى النبوة لا يصح أن يجعل آية لنبي.

---

(١) النبوات (٢/ ٨٦٤).

(٢) النبوات (٢/ ١٠٦١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وقولنا: يخرق عادتهم، هو من باب العادة التي تثبت بمرّة، ليس من شرط فسادها أن تقع غير مرّة، مع انتفاء الشهادة بالنبوة، بل متى وقعت مرّة واحدة مع انتفاء الشهادة بالنبوة لم تكن مختصة بشهادة النبوة، ولا بالنبوة، فلا يجب أن تكون آية)[1].

٢- لا يشترط في الآيات أن تخرق عادة الأنبياء، فالأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، وعدم اشتراط كون الآية خارقة لعادتهم لا يعني أنها لا تكون كذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فإن آياتهم لا بد أن تخرق عادة كلّ أمة من الأمم، وكل طائفة من الطوائف، لا تختص آياتهم بخرق عادة بلد معين، ولا من أرسلوا إليه، بل تخرق عادة جميع الخلق إلا الأنبياء؛ فإنها إذا كانت معتادة للأنبياء، مثل الخبر الصادق بغيب الله تعالى الذي لا يُعرف إلا من جهتهم.

فما كان معتادًا للأنبياء دون غيرهم فهو من أعظم آياتهم وبراهينهم، وإن كان معتادًا لهم، فإن الدليل هو: ما يستلزم المدلول عليه.

---

(١) النبوات (٢/ ٨٤٨).

فإذا لم يكن ذلك معتادًا إلا لنبيّ كان مستلزمًا للنبوة، وكان من أتى به لا يكون إلَّا نبيًّا، وهو المطلوب)[١].

وقال: (وقولنا: ولا يجب أن تخرق عادات الأنبياء، ولم نقل: ولا يجوز أن تخرق عادات الأنبياء، بل قد تكون خارقة أيضًا لعادات الأنبياء.

وقد خُصّ بها نبي واحد، مثل أكثر آيات الأنبياء، فإنّ كلّ نبيّ خُصّ بآيات، لكن لا يجب في آيات الأنبياء أن تكون مختصة بنبيّ، بل ولا يجب أن يختص ظهورها على يد النبي، بل متى اختصت به وهي من خصائصه كانت آية له)[٢].

٣- لا يشترط في آيات الأنبياء عدم وجودها لأتباعهم؛ إذ وجودها لأتباعهم دليل على صدقهم، إذ الأتباع يقولون: نحن لم تحصل لنا إلا باتباعنا الأنبياء.

قال شيخ الإسلام: (وآيات الأنبياء تدلّ على صدقهم، وهذا لا يكون إلا مع كونها مستلزمةً لصدقهم، فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، ويمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها، ولا يمتنع أن يأتي

(١) النبوات (٢/ ٨٤٨).
(٢) النبوات (٢/ ٨٤٨).

نبي آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدّقهم بمثلها، فإنّ تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم)[١].

على أن الشيخ يفرق بين آيات الأنبياء الكبرى، والآيات الصغرى، فيرى اختصاص الأنبياء بالكبرى، واشتراك الأنبياء والأولياء بالصغرى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك.

فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين.

ولكنّ آياتِهم صغارٌ، وكبارٌ، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٢٠]، فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيّه محمّد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨].

فالآيات الكبرى مختصة بهم، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحدٍ من

(١) النبوات (٢/ ٧٧٥).

الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه أطعم الجيش من شيء يسير.

فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، فهم مختصون، إمّا بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم، كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير، وإمّا بقدرها، وكيفيتها، كنار الخليل، فإنّ أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشاركٌ للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلومٌ أنّ الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله)[1].

٤- لا يشترط في آيات الأنبياء خرقها لعادة الملائكة، إذ الأنبياء لم يرسلوا إلى الملائكة.

قال شيخ الإسلام: (أمّا ما تقدر عليه الملائكة فذاك قد يكون من آياتهم؛ لأنهم لم يرسلوا إلى الملائكة، والملائكة لا تفعل شيئًا إلا

(١) النبوات (٢/ ٨٠٢).

بإذن الله، فما تفعله الملائكة معهم فهو بإذن الله، وهو ما خص به الأنبياء بخلاف الإنس والجن)[١].

وقال: (وأما إذا كانت مما تقدر عليه الملائكة فهذا مما يؤيدها، فإن الملائكة لا يطيعون من يكذب على الله، ولا يؤيّدونه بالخوارق، فإذا أُيِّد به كما أيَّد الله به نبيه والمؤمنين يوم بدر، ويوم حنين، كان هذا من أعلام صدقه، وأنّه صادق على الله في دعوى النبوة، فإنّها لا تؤيد الكذب، لكن الشياطين تؤيد الكذّاب، والملائكة تؤيِّد الصدق)[٢].

فآيات الأنبياء خارقة لعادة الإنس والجن، والعادة في هذا الباب تثبت بمرة واحدة، فما وجد من الثقلين مرة لا يصح كونه آية، ولا يشترط فيها خرقها لعادة الأنبياء، والقول بعدم هذا الشرط لا يعني أنها لا تقع كذلك، إذ النبي قد يختص بآية لا تقع لغيره من الأنبياء، ولا يشترط عدم حصول الآية لأتباع الأنبياء؛ إذ حصولها لهم دليل على صدق الأنبياء، فإنها لم تكن لهم إلا باتباعهم الأنبياء، ولا يشترط في الآية خرقها لعادة الملائكة؛ إذ الرسل لم يبعثوا إليهم.

(١) النبوات (٢/ ٨٦٤).

(٢) النبوات (٢/ ١٠٦١).

الباب الرابع

في بيان كون دلائل النبوة غير محصورة في الآيات

الله عَزَّوَجَلَّ ما أرسل نبيًّا إلا وجعل له آيات تدل على نبوته، وقد سبق التنبيه على هذا في (خطبة الكتاب).

ولكن من المهم أن تعلم أن دلائل النبوة ليست محصورة في الآيات، فثمة دلائل غيرها تدل على صدق النبوة.

قال شيخ الإسلام: (دلائل نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة متنوعة، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب، وبينا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة)[1].

وقال أيضًا شارحًا لقول الأصبهاني: (والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات).

: (هذه الطريقة هي من أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر، حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٩).

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء، لكن كثير من هؤلاء، بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أن لا نعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات...، وليس الأمر كذلك، بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة، فإن المقصود إنما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه، فإنه إذا قال: إني رسول الله.

فهذا الكلام إما أن يكون صدقًا، وإما أن يكون كذبًا.

وإن شئت قلت: هذا خبر، فإمَّا أن يكون مطابقًا للمخبر، وإما أن يكون مخالفًا له.

فإذا كان مدعي الرسالة لم يكن صادقًا فلا بد أن يكون كاذبا عمدًا أو ضلالًا.

فالتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة)[1].

وقد أفاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح (الأصبهانية) في ذكر أدلة النبوة، وأنا أسوق هنا كلامه في ذكر بعضها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والمقصود هنا أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدًّا متنوعة، ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر بأحوال الأنبياء

(١) شرح الأصبهانية (١٣٧).

وأوليائهم وأعدائهم علمنا علمًا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة:

- **منها**: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم، وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم أخبارًا كثيرة في أمور كثيرة، وهي كلها صادقة، لم يقع في شيء منها تخلف، ولا غلط.

بخلاف من يخبر به من ليس متبعًا لهم ممن تنزل عليه الشياطين، أو يستدل على ذلك بالأحوال الفلكية وغيره.

وهؤلاء لابد أن يكونوا كثيرًا، بل الغالب من أخبارهم الكذب، وإن صدقوا أحيانًا.

- **ومن ذلك**: أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم وإهلاك عدوهم إذا عرف الوجه الذي حصل عليه -كحصول الغرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومه- كان هذا ممّا يورث علمًا ضروريًّا أن الله تعالى أحدث هذا نصرًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه ونجاة لهم، وعقوبة لفرعون وقومه ونكالًا لهم.

وكذلك أمر نوح والخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكذلك قصة الفيل وغير ذلك.

- **ومن الطرق أيضًا**: أن من تأمل ما جاء به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيما أخبرت به وما أمرت به علم بالضرورة أنَّ مثل هذا لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم، وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب مفتر على الله يخبر عنه بالكذب الصريح، أو مخطئ جاهل ضال يظن أن الله تعالى أرسله ولم يرسله.

وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروا به من الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدى الخلائق وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلًا ما يبين أنهم من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باينوا بها أعلم الخلق ممن سواهم.

فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال.

وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم ما يبين أن ذلك صدر عن راحم بار يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

وإذا كان ذلك يدل على كمال علمهم وكمال حسن قصدهم، فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذبًا على الله يدعي عليه هذه الدعوى العظيمة التي لا يكون أفجر من صاحبها إذا كان كاذبًا متعمدًا، ولا أجهل منه إن كان مخطئًا.

وهذه الطريق تسلك جملة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتفصيلًا في حق واحد واحد بعينه.

فيستدل المستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه، ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلًا.

والعلم بجنس الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح، بل جملة ذلك ممّا اتفق عليه بنو آدم، ولذلك يسمى ذلك معروفًا ومنكرًا.

فإذا علم أنه فيما علم الناس أنه الحق وأنه خير هو أحق منهم به، وأنصح الخلق فيه وأصدقهم فيما يقول علم بذلك أنه صادق عالم ناصح لا كاذب ولا جاهل ولا غاش.

وهذه الطريق يسلكها كل أحد بحسبه، ولا يحتاج في هذه الطريق إلى أن يعلم أولًا خواص النبوة وحقيقتها وكيفيتها، بل أن يعلم أنه صادق بار فيما يخبر به ويأمر به، ثم من خبره يعلم حقيقة النبوة والرسالة)[1].

(١) شرح الأصبهانية (١٥٥-١٥٦).

الباب الخامس

في بيان بعض أقسام الآيات

جاء في كلام شيخ الإسلام تقسيم آيات الأنبياء إلى أقسام متنوعة ترجع لاعتبارات متعددة.

١- تقسيمها باعتبار متعلقها:

تقسم الآيات بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: آيات متعلقة بالعلم.

الثاني: آيات متعلقة بالقدرة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والآيات الخارقة جنسان:

- جنسٌ في نوع العلم.
- وجنسٌ في نوع القدرة.

فما اختصّ به النبيّ من العلم خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ.

وما اختصّ به من المقدورات خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ)[1].

---

(١) النبوات (١/ ١٥٠).

وقال: (وقد جمع لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع أنواع المعجزات والخوارق:

(أ) أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل أخبار نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم، ومخاطباته لهم، وأحواله معهم، وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو بغيره من غير تعلم له منهم.

وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم.

ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء، تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر، وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم.

وفي مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب، وهو من حكمة إبقائهم بالجزية، وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه.

فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة، مثل مملكة أمته، وزوال مملكة فارس والروم، وقتال الترك.

وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في كتب دلائل النبوة، و سيرة الرسول، و فضائله، وكتب التفسير، والحديث، والمغازي، مثل «دلائل النبوة» لأبي نعيم، والبيهقي، و«سيرة ابن إسحاق»، وكتب الأحاديث المسندة، كـ«مسند الإمام أحمد»، والمدونة كـ«صحيح البخاري»، وغير ذلك مما هو مذكور أيضًا في كتب أهل الكلام والجدل، كـ«أعلام النبوة» للقاضي عبد الجبار وللماوردي، و«الرد على النصارى» للقرطبي، ومصنفات كثيرة جدًّا.

وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد في كتب الأنبياء المتقدمين، وهي في وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوة بأيدي اليهود والنصارى، كـ«التوراة»، و«الإنجيل»، و«الزبور»، و«كتاب شعيا»، و«حبقوق»، و«دانيال»، و«أرميا».

وكذا إخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم.

(ب) وأما القدرة والتأثير: فإما أن يكون في العالم العلوي، أو ما دونه، وما دونه: إما بسيط، أو مركب، والبسيط: إما الجو، وإما الأرض، والمركب: إما حيوان، وإما نبات، وإما معدن، والحيوان: إما ناطق، وإما بهيم.

فالعلوي، كانشقاق القمر، ورد الشمس ليوشع بن نون، وكذلك ردها لما فاتت عليًّا الصلاة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائم في حجره، إن صح الحديث، فمن الناس من صححه، كالطحاوي والقاضي عياض، ومنهم من جعله موقوفًا، كأبي الفرج بن الجوزي، وهذا أصح، وكذلك معراجه إلى السماوات.

وأما الجو فاستسقاؤه، واستصحاؤه غير مرة، كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما، وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وأما الأرض والماء فكاهتزاز الجبل تحته، وتكثير الماء في عين تبوك وعين الحديبية، ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة.

وأما المركبات فتكثيره للطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبي طلحة، وفي أسفاره، وجراب أبي هريرة، ونخل جابر بن عبد الله، وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه، وسقياه لغير واحد من الأرض، كعين أبي قتادة.

وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما الغرض التمثيل.

وكذلك من باب القدرة عصا موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفلق البحر، والقمل، والضفادع، والدم، وناقة صالح، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى لعيسى.

كما أن من باب العلم إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم)[1].

٢- تقسيمها باعتبار زمنها:

تقسم بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

الأول: آيات قبل المبعث.

الثاني: آيات حين المبعث.

الثالث: آيات في حياتهم بعد المبعث.

الرابع: آيات بعد مماتهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (آيات الأنبياء، ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث، وحين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ٦).

فقبل المبعث، مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به، ومثل الإرهاصات[(١)] الدالة عليه.

وأما **حين المبعث** فظاهر.

وأما **في حياته** فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه.

وأما **بعد موته** فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه،كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

وقال للمسيح: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

---

(١) قال الجرجاني في (التعريفات): (الإرهاص: ما يظهر من الخوارق عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ظهوره).

ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلت له الآيات البينات **قبل مبعثه، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته إلى الساعة، وإلى قيام الساعة**، فإن ذكره، وذكر كتابه، والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة كما قد بسط في موضعه)[1].

ومن هنا كانت أشراط الساعة آيات للأنبياء وإن كانت بعد وفاتهم.

قال شيخ الإسلام: (**أشراط الساعة هي من آيات الأنبياء، من وجوه:**

منها: أنهم أخبروا بها قبل وقوعها، فإذا جاءت كما أخبروا كان ذلك من آياتهم.

ومنها: أنهم أخبروا بالساعة، فهذه الأشراط مصدّقة لخبرهم بالساعة، وكلّ من آمن بالساعة آمن بالأنبياء، وكلّ من كذب الأنبياء كذّب الساعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٢-١١٣].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٤١٠).

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الأنعام:٩٢].

فكلّ من آمن بالآخرة فقد آمن بالقرآن، فإذا جاءت أشراط الساعة كانت دليلًا على صدق خبرهم أنّ الساعة حقّ، وأنّ القرآن حقّ، وكان هذا من الآيات الدالة على صدق ما جاء به الرسول من القرآن، وهو المطلوب.

فلا يوجد خرق عادة لجميع الناس، إلا وهو من آيات الأنبياء.

وكذلك الذي يقتله الدجال، ثم يحييه، فيقوم، فيقول: «أنت الأعور الكذّاب الذي أخبرنا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة».

فيريد الدجال أن يقتله، فلا يقدر على ذلك.

فهذا الرجل بعد أن قتل وقام، يقول للدجال: «أنت الأعور الكذّاب، الذي أخبرنا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله ما ازددت فيك بهذا القتل إلا بصيرة».

ثم يريد الدجال أن يقتله، فلا يقدر عليه.

فعجزه عن قتله ثانيًا، مع تكذيب الرجل له بعد أن قتله، وشهادته للرسول محمّد بالرسالة، هو من خوارق العادات، التي لا توجد إلاّ لمن شهد للأنبياء بالرسالة، وهذا الرجل هو من خيار أهل الأرض المسلمين.

فهذا الخارق الذي جرى فيه هو من خصائص من شهد لمحمّد بالنبوة، فهو من أعلام النبوة ودلائلها.

وكونه قُتِل أوّلًا أبلغ في الدلالة، فإنّ ذلك لم يزغه، ولم يُؤثّر فيه، وعلم أنّه لا يُسلّط عليه مرة ثانية، فكان هذا اليقين والإيمان، مع عجزه عنه هو من خوارق الآيات.

ومعلومٌ أنّ قتله ممكنٌ في العادة، فعجزه عن قتله ثانيًا، هو الخارق للعادة.

ودلّ ذلك على أن إحياء الله له، لم يكن معجزة للدجال، ولا ليبين بها صدقه، لكن أحياه ليكذّب الدجال، وليبين أنّ محمّدًا رسول الله، وأنّ الدجّال كذّاب، وأنّه هو الأعور الكذاب الذي أنذر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «**ما من نبي إلّا وقد أنذر أمته الأعور الدجال، وسأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لأمته: إنّه أعور،**

وإنّ الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: كافر ك ف ر، يقرأه كلّ مؤمن؛ قارئ، وغير قارئ».

وفي بعض الأحاديث الصحيحة: «**واعلموا أنّ أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**».

فذكر لهم آيات ظاهرة يشترك فيها الناس، تبيّن لهم كذبه، فيما يدعيه من الربوبية، إذ كان كثير من الناس يجوّزون ظهور الإله في البشر، النصارى وغير النصارى.

وما يأتي به الدجال، إنّما يحار فيه، ويراه معارضًا لآيات الأنبياء من لم يحكّم الفرقان)[١].

٣- تقسيمها باعتبار عظمتها:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: آيات صغار.

الثاني: آيات كبار.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك.

---

(١) النبوات (٢/ ٨٥٤).

فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكنّ آياتِهم صغارٌ، وكبارٌ؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٢٠]، فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيّه محمّد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨]، فالآيات الكبرى مختصة بهم.

ولا يقدر أحدٌ من مكذبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء.

وأمّا مصدّقوهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء، مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلى مثل آيات المتبوع مطلقًا، وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها؛ كإحياء الموتى، وتكثير الطعام والشراب، فلا يشركونه في القرآن، وفلق البحر، وانشقاق القمر؛ لأن الله فضل الأنبياء على غيرهم، وفضل بعض النبيين على بعض، فلا بُد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله، إذ لو أتى بمثل ما أتى لكان مثله، لا دونه)[١].

(١) النبوات (٢/ ٨٦٥).

٤- تقسيمها باعتبار التحدي بها:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: ما تُحدِّي به.

الثاني: ما لم يُتحدَّ به.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (عامّة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها، ويقول ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه، ولم يتحدّاهم به ابتداءً، وسائر المعجزات لم يتحدّ بها، وليس فيما نقل تحدّ إلا بالقرآن)[١].

٥- تقسيمها باعتبار سببها:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: آيات لحجة في الدين.

الثاني: آيات لحاجة المسلمين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فهذه أحوال نبيّنا ومن اتبعه، خوارقهم لحجّة في الدين، أو حاجةً للمسلمين)[٢].

وقال مبينًا بعض الآيات التي كانت لحاجة المسلمين: (فما كان يُظهره الله على يديه من الآيات، مثل تكثير الطعام والشراب مرّات،

(١) النبوات (٢/ ٧٩٤).

(٢) النبوات (١/ ١٦٠).

كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعافَ أضعاف من كان محتاجًا إليه، وغير ذلك، كلها من دلائل النبوة، ولم يكن يُظهرها للاستدلال بها، ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها)[١].

ومن أمثلة الآيات التي هي من باب الحجة في الدين انشقاق القمر، فإن المشركين سألوا النبي آية، فأراهم الله هذه الآية العظيمة حجة على صدق نبوته، قال شيخ الإسلام: (﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] الذي هو دليل على نبوة محمد)[٢].

٦- تقسيمها باعتبار الاختصاص بها:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

الأول: آيات يختص بها نبي.

الثاني: آيات مشتركة بين عدد من الأنبياء.

الثالث: آيات يأتي بها الأنبياء كلهم.

قال شيخ الإسلام: (بل النبيّ الواحد له آيات، لم يأت بها غيره من الأنبياء، كالعصا، واليد لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وفرق البحر،

(١) النبوات (١/ ٤٩٨).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٤٢٠).

فإنّ هذا لم يكن لغير موسى، وكانشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الأنبياء، وكالناقة التي لصالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنّ تلك الآية لم تكن مثلها لغيره، وهو خروج ناقة من الأرض.

بخلاف إحياء الموتى: فإنّه اشترك فيه كثيرٌ من الأنبياء، بل ومن الصالحين.

وملك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم يكن لغيره، كما قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص:٣٥]، فطاعة الجن والطير، وتسخير الريح تحمله من مكان إلى مكان له ولمن معه، لم يكن مثل هذه الآية لغير سليمان.

وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**ما من نبيّ من الأنبياء، إلا وقد أُوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**».

وهو من حين أتى بالقرآن، وهو بمكة يقرأ على الناس: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

فقد ظهر أنّ من آيات الأنبياء **ما يختصّ به النبيّ، ومنها ما يأتي به عددٌ من الأنبياء، ومنها ما يشترك فيه الأنبياء كلّهم ويختصّون به**، وهو الإخبار عن الله بغيبه الذي لا يعلمه إلا الله، قال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن:٢٦-٢٨])[1].

(١) النبوات (٢/ ٨٢١).

الباب السادس

في بيان كون كرامات الأولياء من آيات الأنبياء

سبق أن أشرت إلى هذه المسألة، ولكن أحببت إفرادها في باب خاص لأهميتها، ولبيان خطأ الأشاعرة فيها.

قال شيخ الإسلام مقررًا كون كرامات الأولياء آيات للأنبياء: (الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء خوارقهم من معجزات الأنبياء، فإنّهم يقولون: نحن إنّما حصل لنا هذا باتّباع الأنبياء.

فهؤلاء إذا قُدّر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء، فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضًا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدّمهم من الإرهاص.

ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قطّ إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يُشاركونهم في بعضها، كما قد يُشاركونهم في بعض أعمالهم)[1].

(١) النبوات (١/ ١٤١).

والأشاعرة لا يرون كرامات الأولياء آيات للأنبياء.

قال شيخ الإسلام: (لكن ما يظهر على المؤمنين بهم من الآيات، بسبب الإيمان بهم: فيه قولان:

قال طائفة[١]: ليس ذلك من آياتهم، وهذا قول من يقول: من شرط المعجزة أن يقارن دعوى النبوة، لا يتقدّم عليها، ولا يتأخّر عنها، كما قاله هؤلاء الذين يجعلون خاصّة المعجزة التحدّي بالمثل، وعدم المعارضة، ولا يكون إلا مع الدعوى، كما تقدم، وهو قولٌ قد عرف فساده من وجوه.

والقول الثاني، وهو القول الصحيح: أنّ آيات الأولياء هي من جملة آيات الأنبياء، فإنّها مستلزمة لنبوّتهم، ولصدق الخبر بنبوّتهم، فإنه لولا ذلك، لما كان هؤلاء أولياء، ولم يكن لهم كرامات)[٢].

فالأشاعرة إذن لا يرون كرامات الأولياء آيات للأنبياء؛ لأنهم يشترطون في الآية أن تكون مصحوبة بدعوى النبوة، والكرامة لا تكون معها هذه الدعوى، ويستدلون على اشتراط دعوى النبوة في الآيات بعلامات الساعة، فيقولون: علامات الساعة خوارق،

(١) هم الأشاعرة.

(٢) النبوات (٢/ ٨٢٣).

وليست معجزات للأنبياء؛ لعدم اقترانها بدعوى النبوة، قال شيخ الإسلام مبينًا استدلالهم هذا: (فقالوا: هذا الخارق إن وجد مع دعوى النبوة كان معجزة، وإن وجد بدون دعوى النبوة لم يكن معجزة، فاحتاجوا لذلك أن يجعلوه مقارنًا للدعوى.

قالوا: والدليل على ذلك: أنّ مثل آيات الأنبياء يأتي في آخر الزمان، إذا جاءت أشراط الساعة، ومع ذلك ليس هو من آياتهم)[1].

وقد سبق في الباب السابق بيان كون علامات الساعة من آيات الأنبياء؛ لكونهم أخبروا بها، فوقعت على وفق ما أخبروا، وبذا يبطل هذا الاستدلال.

وقد بيَّن شيخ الإسلام فساد اشتراط دعوى النبوة في الآيات حيث قال: (وقول من اشترط في آيات الأنبياء أن تكون مقترنة بالدعوى في غاية الفساد والتناقض، كما قد بُسط، لا سيما والآيات قد تكون مخلوقة نائية عن النبي، وعن مكانه، وكذلك سائر الأدلة، لا سيّما ما يجري مجرى الخبر.

(١) النبوات (٢/ ٨٥٣).

فالأخبار الدالة على وجود المخبر به لا يجب أن تكون مقارنة للمخبر به، لا في محله، ولا زمانه، ولا مكانه.

وآيات الأنبياء: هي شهادة من الله، وإخبار منه بنبوتهم، فلا يجب أن تكون في محلّ النبوة، ولا زمانها ولا مكانها، لكن يجوز ذلك، فلا يمتنع أن يكون الدليل في محل المدلول عليه، ولا في زمانه)[١].

يقرر شيخ الإسلام هنا أن آية النبي لا يشترط وقوعها في مكان وجوده، ولا في زمانه، وقد سبق تقرير هذا في الفصل السابق، وأن آيات الأنبياء منها مايكون قبل مبعثهم، ومنها ما يكون حال مبعثهم، وبعد مبعثهم في حياتهم، وبعد مماتهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن منها ما لا يقع مقترنًا بدعوى النبوة.

فاشتراط كون آية النبي مقرونة بدعوى النبوة باطل، وعليه فلا يشكل على كون كرامات الأولياء آيات للأنبياء.

(١) النبوات (٢/ ٩٨٤).

الباب السابع

في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء

إن لمعرفة الفروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء شأنًا جليلًا، وقد رأيتَ وسترى ماذا فعل الجهل بالفروق بين هذه وتلك بالأشاعرة، وأي اضطراب أوردهم إياه، ومن كلام شيخ الإسلام في التنبيه على أهمية ضبط الفروق في هذا الباب قوله: (يحتاج أن يفرق بين كرامات الأولياء، وبين خوارق السحرة والكهّان، وما يكون للكفّار، والفسّاق، وأهل الضلال والغي بإعانة الشياطين لهم؛ كما يُفرّق بين ذلك، وبين آيات الأنبياء)[١].

وإليك بعض الفروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

١- (الكرامات معتادة في الصالحين منّا، ومَنْ قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين)[٢].

---

(١) النبوات (٢/ ٨٢٤).

(٢) النبوات (١/ ٥٥٩).

٢- الكرامات (تُنال بالصلاح؛ بدعائهم، وعبادتهم، ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك، ولو طلبها النّاس، حتى يأذن الله فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٠٩]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام:٣٧])[(١)].

٣- آيات الأنبياء منها آيات لا يشاركهم فيها الصالحون، وهي الآيات الكبرى.

قال شيخ الإسلام: (معجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكنّ آياتِهم صغارٌ، وكبارٌ؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٢٠]، فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيّه محمّد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨].

فالآيات الكبرى مختصة بهم، ولا يقدر أحدٌ من مكذبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء، وأمّا مصدّقوهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء، مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلى مثل آيات المتبوع مطلقًا، وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها، كإحياء الموتى، وتكثير الطعام والشراب، فلا يشركونه في القرآن، وفلق

(١) النبوات (١/ ٥٦٠).

البحر، وانشقاق القمر، لأن الله فضل الأنبياء على غيرهم، وفضل بعض النبيين على بعض، فلا بُد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله، إذ لو أتى بمثل ما أتى لكان مثله، لا دونه)[١].

وبذا تعرف خطأ الأشاعرة في زعمهم أن كل آية للنبي يصح أن تكون كرامة للولي، قال شيخ الإسلام مبينًا قولهم: (ثمّ هؤلاء جوّزوا كرامات الصالحين، ولم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأنبياء فرقًا، بل صرّح أئمتهم أنّ كلّ ما خُرق لنبيّ يجوز أن يخرق للأولياء، حتى معراج محمد، وفرق البحر لموسى، وناقة صالح، وغير ذلك)[٢].

وقول الشيخ: (ولم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأولياء فرقًا) يريد به كونهم لم يذكروا فرقًا صحيحًا، وإلا فقد ذكروا ما هو باطل.

ومن المناسب هنا أن أنبه على فرقين باطلين قال بهما الأشاعرة:

١- أن آية النبي مصحوبة بالتحدي بخلاف كرامة الولي.

قال شيخ الإسلام مبينًا فساد هذا الفرق: (ومنها: [أي: كرامات الأولياء] ما يتحدّى بها صاحبها أنّ دين الإسلام حقّ، كما

(١) النبوات (٢/ ٨٦٥).

(٢) النبوات (١/ ١٣٦).

فعل خالد بن الوليد لما شرب السُّمَّ؛ وكالغلام الذي أتى الراهب، وترك الساحر، وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربّه، وكان قبل ذلك قد خُرِقت له العادة فلم يتمكّنوا من قتله)[١].

ثم إن عامة معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يتحدى بها، وقد سبق بيان هذا في (الباب الخامس)، وعليه فإن هذا الفرق باطل من جهتين:

الأولى: كون التحدي بالخارق واقعًا من الأولياء.

الثانية: كون عدم التحدي بالآية واقعًا من الأنبياء.

٢- أن الكرامة يخفيها صاحبها بخلاف الآية.

قال شيخ الإسلام مبينًا فساد هذا الفارق: (ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها، كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر، وإظهار أبي مسلم لما أُلقي في النار أنّها صارت عليه بردًا وسلامًا)[٢].

(١) النبوات (١/ ١٤٠).

(٢) النبوات (١/ ١٣٨).

الباب الثامن

في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان

سبق التنبيه على أهمية ضبط الفروق بين آيات الأنبياء، وغيرها، ونقل كلام شيخ الإسلام في هذا، وقد ذكر شيخ الإسلام فروقًا بين آيات الأنبياء، وعجائب السحرة والكهان، فإليك كلامه في ذلك بتصرف يسير، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(**الأول**: أنّ النبيّ صادقٌ فيما يخبر به عن الكتب، لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة، والكهّان، لا بُدّ أن يكذب، كما قال: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢].

الثاني: من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله، فإنّ الأنبياء لا يأمرون إلّا بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى ومخالفوهم يأمرون بالشرك، والظلم، ويعظّمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أنَّ السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتّبعهم.

الرابع: أنَّ الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلّمه وسعيه واكتسابه، وهذا مجرّبٌ عند الناس، بخلاف النبوة، فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.

الخامس: أنَّ النبوّة لو قُدِّر أنها تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق والعدل والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به.

السادس: أنَّ ما يأتي به الكهّان، والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدورًا للجنّ والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها، لا جنّ، ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كلّ من أُرسل النبيّ إليه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

السابع: أنَّ هذه يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحدًا أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أنَّ تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كلّ ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدّقهم.

التاسع: أنَّ هذه قد لا يقدر عليها مخلوق، لا الملائكة، ولا غيرهم، كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجنّ والشياطين.

العاشر: أنَّه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة، فإنّ الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر إنَّ الله أرسلك، ولم يرسله، وإنما يفعل ذلك الشياطين.

الحادي عشر: أنَّ النبيّ قد تقدّمه أنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر، والكاهن له نظراء يعتبر بهم.

الثاني عشر: أنَّ النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيأمر بالتوحيد

والإخلاص والصدق، وينهى عن الشرك والكذب والظلم، فالعقول والفطر توافقه، كما توافقه الأنبياء قبله، فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عمّا جاء به)[1].

(١) النبوات (١/ ٥٥٨).

الباب التاسع

في نقد معتقد المعتزلة في آيات الأنبياء

لم يفرق المعتزلة بين خارق النبي، وخارق الولي والمتنبي والساحر والكاهن، فهذه كلها عندهم من جنس واحد، وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم إلى إنكار ما تواتر من كرامات الصالحين، وما هو معروف من عجائب السحرة والكهان، بدعوى عدم القدح بآيات الأنبياء.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فجمعوا بين التكذيب بهذه الأمور الموجودة، وبين عدم العلم بآيات الأنبياء والفرق بينها وبين غيرها، حيث ظنوا أن هذه الخوارق الشيطانية من جنس آيات الأنبياء، وأنها نظير لها، فلو وقعت لم يكن للأنبياء ما يتميّزون به)[1].

والرد عليهم يكون بإثبات كرامات الأولياء، وعجائب السحرة والكهان، ثم بإثبات الفرقان بين خوارقهم وخوارق الأنبياء.

---

(١) النبوات (٢/ ١٠٣٦).

أولًا: في إثبات كرامات الأولياء:

قال شيخ الإسلام مثبتًا كرامات الأولياء: (والمنازع لهم [أي: المنازع للمعتزلة] يقول: هي [أي: كرامات الأولياء] موجودةٌ مشهودةٌ لمن شهدها، متواترةٌ عند كثير من الناس، أعظم ممّا تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذّبون بما شهدوه، ويصدّقون بما غاب عنهم، ويكذّبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره)[1].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه النافع (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) العديد من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين، وأنا أسوق لك كلامه بلفظه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدًّا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته.

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين.

وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة، أو سبح ما فيها.

---

(١) النبوات (١/ ١٣٣).

وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا، افترق الضوء معهما. رواه البخاري وغيره.

وقصة الصديق في (الصحيحين) لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا.

وخبيب بن عدي كان أسيرًا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة.

وعامر بن فهيرة قتل شهيدًا، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته.

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة، سمعت حسًّا على رأسها، فرفعته فإذا دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

وسفينة مولى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر الأسد: بأنه رسول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده.

والبراء بن مالك كان إذا أقسم[1] على الله تعالى أبرَّ قسمه، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء، أقسم على ربك، فيقول: يا رب، أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدًا.

وخالد بن الوليد حاصر حصنًا منيعًا، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق.

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشًا أمر عليهم رجلًا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية، الجبل،

(١) قال شيخ الإسلام في (النبوات) (٢/ ١٠٣٣): (والقَسَمُ: قيل: هو من جنس الدعاء، لكن هو طلب مؤكّد بالقسم، فالسائل يخضع، ويقول: أعطني، والمقسم يقول: عليك لتعطيني، وهو خاضعٌ سائلٌ).

يا سارية، الجبل الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله، فقال يا أمير المؤمنين، لقيننا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية، الجبل، يا سارية، الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

ولما عذبت الزنيرة على الاسلام في الله، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها.

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم، فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا، لما عدموا الماء، والإسقاء لما بعدهم، فأجيب.

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد.

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من المعسكر على دجلة، وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عَزَّوَجَلَّ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني، فتبعته، فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها.

وطلبه الأسود العنسي لَمَّا ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار، فألقي فيها، فوجدوه قائمًا يصلي فيها، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا.

وقدم المدينة بعد موت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، وجاءت، وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها.

وكان عمر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته، فلا يتغير عددها ولا وزنها.

ومر بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئا غيره.

ومرت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج -كان يؤذيهم- فخرَّ ميتًا.

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة.

ودعا الله عَزَّوَجَلَّ، فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني، خذ سرج الفرس، فإنه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس.

وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ استطعمه، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل التمر، وبقي الثوب عند زوجته زمانًا.

وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضه بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير.

وكان سعيد ين المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوقات الصلوات، وكان المسجد قد خلا، فلم يبق غيره.

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه.

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه وكفنوه، في تلك الأثواب.

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يومًا في شدة الحر، فأظلته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.

وكان مطرف بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرف السوط.

ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر.

وكان إبراهيم التميمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا، وخرج يمتار لأهله طعامًا فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله، ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبًّا متراكبًا.

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتًا حسنًا، ودمعًا غزيرًا، وطعامًا من غير تكلف.

فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله، فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه.

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تطلق له أعضاءه ثم تعود بعدها.

وهذا باب واسع، وقد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع.

وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير)[1].

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٥٨).

وهذه الكرامات التي ذكرها شيخ الإسلام منها ما كان من باب الدعوات المجابة، وهذا النوع من الكرامات لا تنكره المعتزلة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والذين ذكر عنهم إنكار كرامات الأولياء من المعتزلة وغيرهم، كأبي إسحاق الإسفرايني، وأبي محمد بن أبي زيد، وكما ذكر ذلك أبو محمد بن حزم، لا ينكرون الدعوات المجابة، ولا ينكرون الرؤيا الصادقة، فإن هذا متفق عليه بين المسلمين، وهو أن الله تعالى قد يخصّ بعض عباده بإجابة دعائه أكثر من بعض، ويخصّ بعضهم بما يريه من المبشّرات.

وقد كان سعد بن أبي وقاص معروفًا بإجابة الدعاء؛ فإنّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهمّ سدّد رميته، وأجب دعوته**»، وحكاياته في ذلك مشهورة)[1].

وعليه فإن الاحتجاج على بطلان مذهبهم مما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكون بالكرامات التي ذكرها، وليست من قبيل إجابة الدعاء.

ثانيًا: في إثبات عجائب السحرة:

كلام شيخ الإسلام في إثبات عجائب السحرة والكهان والمتنبين كثير، فمنه قوله: (السحرةُ يفسدون السمع والبصر

(١) النبوات (٢/ ١٠٣١).

والعقل، حتى يخيّل للإنسان الأشياء بخلاف ما هي عليه، فيتغير حسه وعقله، قال في قصة موسى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:١١٦]. وهذا يقتضي أنّ أعين الناس قد حصل فيها تغيُّر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحجر:١٤-١٥]، فقد علموا أن السحر يغير الإحساس، كما يوجب المرض والقتل)[(١)].

وقوله: (وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبد الله ابن صياد الذي ظهر في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان، قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد خبأت لك خبئًا**»، قال: الدخ الدخ.

وقد كان خبأ له سورة الدخان، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**» يعني: إنما أنت من إخوان الكهان.

والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب

(١) النبوات (٢/ ١٠٥٢).

كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الملائكة تنزل في العنان** -وهو السحاب- **فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**».

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟**» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع، فيرمون، فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون**».

وفي رواية، قال معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنها غلظت حين بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره، فقتلوه.

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، ويعينه على بعض الأمور.

وأمثال هؤلاء كثيرون، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان، وادعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يُري الناس رجالًا وركبانًا على خيل في الهواء، ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنًّا، ولما أمسكه المسلمون؛ ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله فطعنه فقتله)[1].

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٦٦).

ثالثًا: في إثبات الفرقان بين آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وعجائب السحرة والكهان:

سبق أن ذكرت الفروق في البابين السابقين، فلا حاجة للإعادة.

وبذا ظهر بطلان ما عليه المعتزلة؛ لثبوت الكرامات، وعجائب السحرة والكهان، ووجود الفرقان بينها وبين آيات الأنبياء.

الباب العاشر

في نقد معتقد الأشاعرة في آيات الأنبياء

الأشاعرة لا يرون أن خارق العادة الثابت للأنبياء مختص بما يميزه عن غيره من حيث هو، ولكن يميزونه عن غيره بما يقترن به من دعوى النبوة والتحدي وعدم المعارضة، فهم يرون أن الخارق مشترك بين النبي والولي والمتنبي والساحر، إلا أنه يتميز بالقيود السابق ذكرها، وهذا أصل ضلالهم في هذا الباب، وقد بين شيخ الإسلام فساد هذا الأصل، حيث قال: (فكان أصلهم أنّ ما يأتي به النبيّ والساحر والكاهن والولي من جنسٍ واحد، لا يتميّز بعضه عن بعضٍ بوصف، لكن خاصّة النبيّ اقتران الدعوى، والاستدلال، والتحدي بالمثل بما يأتي به.

فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصّة تتميّز بها عن السحر والكهانة، وعمّا يكون لآحاد المؤمنين، ولم يجعلوا للنبيّ مزيّة على عموم المؤمنين، ولا على السحرة والكهّان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه.

وهذا افتراءٌ عظيمٌ على الأنبياء وعلى آياتهم، وتسويةٌ بين أفضل الخلق وشرار الخلق.

بل تسويةٌ بين ما يدلّ على النبوّة، وما يدلّ على نقيضها، فإنّ ما يأتي به السحرة والكهّان لا يكون إلَّا لكذّابٍ فاجرٍ عدوٍّ لله، فهو مناقض للنبوة.

فلم يفرقوا بين ما يدلّ على النبوّة وعلى نقيضها، وبين ما لا يدلّ عليها، ولا على نقيضها، فإنّ آيات الأنبياء تدلّ على النبوة، وعجائب السحرة والكهّان تدلّ على نقيض النبوّة، وإنّ صاحبها ليس ببرّ ولا عدلٍ، ولا وليٍّ لله، فضلًا عن أن يكون نبيًّا.

بل يمتنع أن يكون الساحر والكاهن نبيًّا، بل هو من أعداء الله.

والأنبياء أفضل خلق الله، وإيمان المؤمنين وصلاحهم لا يناقض النبوة، ولايستلزمها.

فهؤلاء سوّوا بين الأجناس الثلاثة، فكانوا بمنزلة من سوّى بين عبادة الرحمن، وعبادة الشيطان والأوثان، فإنّ الكهّان والسحرة يأمرون بالشرك وعبادة الأوثان وما فيه طاعة للشيطان، والأنبياء لا يأمرون إلا بعبادة الله وحده، وينهون عن عبادة ما سوى الله وطاعة الشياطين)[1].

(١) النبوات (١/ ٦٠٦).

وقد اضطرب الأشاعرة في شروطهم التي اشترطوها ليميزوا خارق النبي عن غيره اضطرابًا عظيمًا، وخرقوا بعض أصولهم التي أصلوها في غير باب المعجزات.

وقد ذكر شيخ الإسلام شروطهم وناقشها وبين اضطرابهم وتناقضهم، وسأقتصر هنا على بعض الشروط التي ذكروها، وبيان فسادها، إذ المقصود في هذا الباب بيان بطلان اعتقادهم في المعجزات، لا استقصاء ما ذكروه فيها.

*** فمما اشترط الأشاعرة في خوارق الأنبياء كونها مصحوبة بدعوى النبوة، وعدم القدرة على معارضتها.**

قال شيخ الإسلام مبينًا اشتراطهم هذين الشرطين، وسببه: (فاشترطوا لها وصفين: أن تكون مقترنة بدعوى النبوة، وأنّها لا تعارض.

وبالأول: فرّقوا بينها وبين الكرامات.

وبه وبالثاني: فرّقوا بينها وبين السحر والكهانة)[1].

إذن الأشاعرة اشترطوا كون آيات الأنبياء مقرونة بدعوى النبوة؛ ليفرقوا بينها وبين الكرامات؛ إذ الأولياء لا يدعون النبوة، وقد سبق بيان فساد هذا الشرط.

(١) النبوات (٢/ ٧٨٩).

واشترطوا عدم المعارض؛ ليميزوا بينها وبين خوارق السحرة والكهان، فهم يرون أن الساحر والكاهن إن وجدت منهما دعوى النبوة فلا بد أن الله يمنعهما من إظهار الخارق، أو يقيض لهما من يعارضهما، بخلاف آيات الأنبياء فإنها لا تعارض.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وزعموا أنّه إذا كان هناك سحرة وكهان، وكانت معجزته من جنس ما يظهر على أيديهم من السحر والكهانة، فإن الله لا بُد أن يمنعهم عن مثل ما كانوا يفعلونه، وأنّ من ادّعى منهم النبوة، فإنّه يمنعه من تلك الخوارق، أو يُقيض له من يعارضه بمثلها)[1].

وقد بيَّن شيخ الإسلام فساد هذا الشرط من وجوه:

الأول: (أنّ المعارضة بالمثل: أن يأتي بحجةٍ مثلَ حجّة النبيّ، وحجّته عندهم [أي: النبي]: مجموع دعوى النبوة، والإثبات بالخارق، فيلزم على هذا أن تكون المعارضة: بأن يدعي غيره النبوة، ويأتي بالخارق.

وعلى هذا فليست معارضة الرسول بأن يأتوا بالقرآن أو عشر سور أو سورة، بل أن يدعي أحدهم النبوة ويفعل ذلك.

---

(١) النبوات (٢/ ٨٤١).

وهذا خلاف العقل والنقل، ولو قال الرسول لقريش: لا يقدر أحدٌ منكم أن يدّعي النبوة، ويأتي بمثل القرآن، وهذا هو الآية، وإلا فمجرّد تلاوة القرآن ليس آية، بل قد يقرأه المتعلّم له، فلا تكون آية؛ لأنّه لم يدّع النبوّة، ولو ادّعاها لكان الله ينسيه إياه، أو يُقيّض له من يعارضه، كما ذكرتم، لكانت قريش، وسائر العقلاء يعلمون أنّ هذا باطلٌ)[١].

الثاني: (قالوا: لو فعل هذا -أي: الساحر- لكان الله يمنعه فِعْلَ ذلك، أو يقيّض له من يعارضه.

قلنا: من أين لكم ذلك؟ ومن أين يعلم الناس ذلك؟ ويعلمون أن كل كاذب فلا بُدّ أن يُمنع من فعل الأمر الذي اعتاده هو وغيره قبل ذلك؟ أو أن يعارض؟

والواقع خلاف ذلك، فما أكثر من ادّعى النبوّة، أو الاستغناء عن الأنبياء، وأنّ طريقه فوق طريق الأنبياء، وأنّ الربّ يُخاطبه بلا رسالة، وأتى بخوارق من جنس ما تأتي السحرة، والكهّان، ولم يكن في من دعاه من يعارضه)[٢].

---

(١) النبوات (١/ ٤٩٠).

(٢) النبوات (١/ ٦٠٢).

وقريب منه قوله: (ثمّ يُقال: ما يعني بعدم المعارضة في ذلك المكان والزمان، فالسحرة والكهان لا يُعارَضون، والعنسي ومسيلمة لم يعارَضا في مكانهم، ووقت إغوائهم.

وإن قال: لا يُعارَض البتة.

فمن أين يعلم هذا العدم؟!)[١].

الثالث: (أنه إذا كان ما يأتي به النبي يأتي به الساحر والكاهن لكن أولئك يعارَضون، وهذا لا يعارَض، فالاعتبار إذن بعدم المعارضة، فقولوا: كلّ من ادّعى النبوة، وقال: معجزتي أن لا يدعيها غيري، فهو صادق، أو: لا يقدر غيري على دعواها فهو صادق، أو: أفعل أمرًا معتادًا، من الأكل، والشرب، واللباس، ومعجزتي: أن لا يفعله غيري، أو: لا يقدر غيري على فعله، فهو صادق.

فالتزموا هذا، وقالوا: المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد.

وعلى هذا، فلو قال الرسول: معجزتي أن أركب الحمار أو الفرس، أو آكل هذا الطعام، أو ألبس هذا الثوب، أو أعدوَ إلى ذلك المكان، وأمثال ذلك، وغيره لا يقدر على ذلك؛ كان هذا آية دعواه)[٢].

---

(١) النبوات (٢/ ٧٧٥).

(٢) النبوات (١/ ٤٨٨).

*** ومما اشترطوه أيضًا اقتران الآية بالتحدي.**

وهذ الشرط أرادوا به التمييز أيضًا بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء، فهم يرون أن الولي لا يتحدى بكرامته، وقد سبق في باب **(ذكر فروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء)** بيان وقوع التحدي بالكرامة من الأولياء، وأما اشتراط مقارنة الآية للتحدي فقد نقلت في باب **(بيان بعض أقسام الآيات)** كلام شيخ الإسلام في أن عامة آيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتحد بها، ومما قال في ذلك أيضًا: (ومما يلزم أولئك أنّ ما كان يظهر على يد النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل وقت من الأوقات ليست دليلًا على نبوّته؛ لأنّه لم يكن كلما ظهر شيءٌ من ذلك احتجّ به، وتحدّى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصّة، ولا نُقل التحدي عن غيره من الأنبياء، مثل موسى، والمسيح، وصالح، ولكنّ السحرة لمّا عارضوا موسى، أبطل معارضتهم)[1].

فالصواب ما عليه أهل السنة والجماعة من كون آيات الأنبياء تدل بنفسها على صدق نبوتهم، لا اشتراك بينها وبين خوارق السحرة والكهان.

---

(١) النبوات (١/ ٥٤١).

وقد اعتنى شيخ الإسلام بهذه المسألة، وهي اختصاص آيات الأنبياء بهم، وعدم حصولها لغيرهم، وكونها مستلزمة صدقهم عناية فائقة، وأعاد ذكرها في (النبوات) كثيرًا، وذلك لأهميتها، ولبيان فساد ما ذهب إليه الأشاعرة، وإليك بعض كلامه فيها، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (آيات الأنبياء مستلزمة لثبوت النبوة، وصدق المخبر بها، والشاهد بها.

فيلزم من وجودها وجود النبوة، وصدق المخبر بها.

ويمتنع أن تكون مع التكذيب بها، وكذب المخبر بها.

فلا يجوز وجودها لمن كذّب الأنبياء، ولا لمن أقرّ بنبوة كذّاب، سواء كان هو نفسه المدعي للنبوة، أو ادعى نبوّة غيره.

وهذان الصنفان هما المذكوران في قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:٩٣].

وهؤلاء كلهم من أظلم الكاذبين، كما قال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر:٣٢]، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣].

فالمخبر بالنبوّة مع ثبوتها هو الذي جاء بالصدق وصدّق به.

والمخبر بها مع انتفائها هو الذي كذب على الله.

والمكذّب بها مع ثبوتها هو الذي كذّب بالحق لما جاءه.

فدلائل النبوة هي مستلزمة لصدق من أثبت نبوة هي نبوّة حق، يمتنع أن تكون لمن نفى هذه، أو أثبت نبوّة ليست بنبوة.

وكذلك كل دليل على إثبات الصانع دلّ على صدق المؤمنين به المخبرين بما دل عليه الدليل، وعلى كذب من نفى ذلك.

ويمتنع أن تكون تلك الأدلة دالّة على نفي ذلك، أو على صدق الخبر بنفي ذلك، أو على صدق من جعل صفات الرب ثابتة لغيره.

وما دلّ على أن هذه الدار ملك لزيد يدلّ على صدق المخبر بذلك، وكذب النافي له، ويمتنع أن يدل مع انتفاء الملك.

وما دلّ على علم شخص وعدله، فإنه مستلزم لذلك، ولصدق المخبر به، وكذلك النافي له يمتنع أن يدلّ على صدق النافي، أو يدل مع انتفاء العلم والعدل.

فإنّ ما استلزم ثبوت شيء وصدقه استلزم كذب نقيضه، وكان عدم اللازم مستلزمًا لعدم الملزوم.

فما كان مستلزمًا لثبوت النبوة، وصدق المخبر بها، كان مستلزمًا لكذب من نفاها، فامتنع أن يكون موجودًا مع من نفاها، وامتنع أن يكون موجودًا مع انتفائها، فإنّ ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين.

فدليل كل مدلول عليه يمتنع ثبوته مع عدم المدلول عليه، فإنه مستلزم لثبوته، فلو وجد مع عدمه، للزم الجمع بين النقيضين)[1].

وقال أيضًا: (وخاصة الدليل أن يكون مستلزمًا للمدلول، فكلّ ما استلزم شيئًا كان دليلًا عليه، ولا يكون دليلًا إلا إذا كان مستلزمًا له.

وعلى هذا فآيات الأنبياء: هي أدلة صدقهم، وبراهين صدقهم، وهي ما يستلزم صدقهم، ويمتنع وجوده بدون صدقهم، فلا يمكن أن يكون ما يدل على النبوّة موجودًا بدون النبوة.

فآيات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا تُحَدّ بحدود يدخل فيها غير آياتهم؛ كحدّ بعضهم، كالمعتزلة وغيرهم بأنّها خرق العادة، ولم يعرف مسمّى هذه العبارة، بل ظنّ أن خوارق السحرة، والكهان، والصالحين خرقٌ للعادة، فكذّبها.

وحدّ بعضهم بأنّها الخارق للعادة، إذا لم يُعارضه أحد.

(١) النبوات (٢/ ٩٨٠).

وجعل هذا فصلًا احترز به عن تلك الأمور، فقال: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل، مع عدم المعارضة.

وجوَّزَ أن يأتي غير الأنبياء بمثل ما أتوا به سواء مع المعارضة، وجعل ما يأتي به الساحر والكاهن معجزات، مع عدم المعارضة.

وحقيقة المعجز هذا ما لم يعارض، ولا حاجة إلى كونه خارقًا للعادة، بل الأمور المعتادة إذا لم تُعارض كانت آية، وهذا باطلٌ قطعًا، ثمّ مسيلمة، والأسود العنسي، وغيرهما، لم يُعارَضوا.

والعلامة، والدليل، والآية، حدّها: أنّها تدلّ على المطلوب.

وآيات الأنبياء تدلّ على صدقهم، وهذا لا يكون إلا مع كونها مستلزمةً لصدقهم، فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، ويمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها، ولا يمتنع أن يأتي نبي آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدّقهم بمثلها؛ فإنّ تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم.

وقد تكون الآيات تدلّ على جنس الصدق، وهو صدق صاحبها، فيلزم صدقه إذا قال: أنا نبي، ولكن يمتنع أن يكون لكاذب.

فهذا ونحوه مما ينكشف به حقيقة هذا الباب، وهو من أهم الأمور)[١].

وقال: (فالآيات التي تكون آيات للأنبياء هي دليلٌ وبُرهان.

والله تعالى سمّاها برهانًا في قوله لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢]، وهي العصا واليد.

وسماها برهانًا وآيات في مواضع كثيرة من القرآن.

فحدّها حدّ الدليل والبرهان، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبيّ، فلا يتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أنّ الله أرسله.

فليس له إلَّا حالان: إمّا أن يكون الله أرسله، فيكون صادقًا، أو لا يكون أرسله، فلا يكون صادقًا.

فآيات الصدق لا توجد إلا مع أحد النقيضين، وهو الصدق، لا توجد قطّ مع الآخر، وهو انتفاء الصدق، كسائر الأدلة التي هي البراهين، والآيات، والعلامة، فإنّها لا توجد إلا مع تحقّق المدلول عليه، لا توجد مع عدمه قط، إذ كانت مستلزمة له، يلزم من وجود الدليل وجود المدلول عليه، فلا يوجد الدليل مع عدم المدلول عليه، فلا توجد آياتهم مع عدم صدقهم.

(١) النبوات (٢/ ٧٧٣).

فيجب أن يُتصوَّر هذا الموضع، فإنّه حقٌ، معلومٌ بعد تصوّره لكل العقلاء بالضرورة.

فلا يمكن أحدًا كذَّب النبي أن يأتي بمثلها، فإنّه لو أتى بمثلها مع تكذيب النبيّ لكانت قد وجدت مع قوله: إنّي صادق، ومع قول هذا المكذِّب: إنّه كاذب، فلم تختصّ بصدقه، ولم تستلزمه، فلا يلزم إذا قال: إني صادق، أن يكون صادقًا، وهذا قد أتى بمثل ما أتى به، وقال: إنّه كاذب.

ولا يكون إعلامًا من الله لعباده، وإخبارًا لهم: بأنّي أرسلته، ولا تصديقًا له.

كما لو قال رجلٌ: إنّ فلانًا أرسلني، وجاء بعلامةٍ ذكر أنّه خصّه بها، مثل أن يقول: العلامة أنه أعطاني خاتمه، فيقول المكذِّب: وأنا أيضًا أعطاني خاتمه الأخرى لأصلحها له، أو لأختم بها كذا، وأنت إنّما أعطاك خاتمه لتصلحها، أو تختم بها.

فإذا أتى المكذِّب له بمثل ما أتى به امتنع كونها آية.

ولكن لو كان قد جاءهم بالخاتم غيره؛ لأمرٍ آخرَ أرسله له لم يمتنع ذلك، بل قد جرت عادته معهم بأنّه من أرسله يُرسل معه خاتمه، فقد صار إرسال الخاتم عادة له يدلّ على صدق من أرسله،

فهو يُميِّز رسله بالخاتم، لا يخصّ بها واحدًا منهم، وهي عادة منه لرسله، ليست لغيرهم، لا عادة، ولا غير عادة.

فهذا شأن الآيات والعلامات التي يقصد الدالّ بها أن يدلّ بها)[1].

(١) النبوات (٢/ ٧٨٤).

الخاتمة
في ذكر نتائج الأبواب السابقة

اشتملت أبواب الكتاب بفضل الله تعالى على نتائج مهمة تتعلق بآيات النبيين، أوجزها فيما يلي:

١- لما جعله الله تعالى أدلة مستلزمة صدق الأنبياء أسماء وردت في القرآن، ذكر منها شيخ الإسلام ثلاثة، وهي: الآية، والبينة، والبرهان، وأسماء جاءت في كلام أهل العلم، وهي حسب ما وقفت عليه في كلام شيخ الإسلام خمسة، وهي: الخارق، المعجزة، العجيب، الدليل، العَلم.

٢- استعمال الأسماء الواردة في القرآن أفضل؛ لكونها أدل على المقصود.

٣- من استعمل اسم المعجزات أو الخوارق، أو العجائب، فلا بد أن يقيده بما يدل على إرادة آيات الأنبياء به، فيقول مثلًا: (العجائب التي أتت بها الأنبياء، وخوارق العادات، والمعجزات التي ظهرت على أيديهم، أو التي لا يقدر عليها البشر)[١].

(١) النبوات (٢/ ٨٢٩).

٤- الآيات شرعًا هي: خوارق لعادة جميع الثقلين يفعلها الله مع الرسل إخبارًا منه بنبوتهم.

٥- يشترط في آيات الأنبياء كونها خارقة لعادة الإنس والجن؛ إذ الرسل بعثت إليهم.

٦- العادة في هذا الباب تثبت بمرة، فما وجد مرة واحدة مع غير دعوى النبوة لا يصح أن يجعل آية لنبي.

٧- لا يشترط في الآيات أن تخرق عادت الأنبياء، فالأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، وعدم اشتراط كون الآية خارقة لعادتهم لا يعني أنها لا تكون كذلك.

٨- لا يشترط في آيات الأنبياء عدم وجودها لأتباعهم؛ إذ وجودها لأتباعهم دليل على صدقهم، إذ الأتباع يقولون: نحن لم تحصل لنا إلا باتباعنا الأنبياء.

٩- لا يشترط في آيات الأنبياء خرقها لعادة الملائكة، إذ الأنبياء لم يرسلوا إلى الملائكة.

١٠- أهل السنة لا يحصرون دلائل النبوة بالمعجزات خلافًا لأهل الكلام.

١١- تقسم الآيات إلى أقسام متنوعة باعتبارات متعددة.

١٢- تقسم الآيات باعتبار متعلقها إلى قسمين:

الأول: آيات متعلقة بالعلم.

الثاني: آيات متعلقة بالقدرة.

١٣- تقسم الآيات باعتبار زمنها إلى أربعة أقسام:

الأول: آيات قبل المبعث.

الثاني: آيات حين المبعث.

الثالث: آيات في حياتهم بعد المبعث.

الرابع: آيات بعد مماتهم.

١٤- تقسم الآيات باعتبار عظمتها إلى قسمين:

الأول: آيات صغار.

الثاني: آيات كبار.

١٥- تقسم الآيات باعتبار التحدي بها إلى قسمين:

الأول: ما تُحدِّي به.

الثاني: ما لم يُتحدَّ به.

١٦- تقسم باعتبار سببها إلى قسمين:

الأول: آيات لحجة في الدين.

الثاني: آيات لحاجة المسلمين.

١٧- تقسم الآيات باعتبار الاختصاص بها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: آيات يختص بها نبي.

الثاني: آيات مشتركة بين عدد من الأنبياء.

الثالث: آيات يأتي بها الأنبياء كلهم.

١٨- علامات الساعة من آيات الأنبياء.

١٩- كرامات الأولياء من آيات الأنبياء.

٢٠- يشترك الأولياء مع الأنبياء بالآيات الصغرى، لا الكبرى.

٢١- (الكرامات معتادة في الصالحين منّا، ومَنْ قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين)[١].

٢٢- الكرامات (تُنال بالصلاح؛ بدعائهم، وعبادتهم. ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك، ولو طلبها النّاس، حتى يأذن الله فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٠٩]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام:٣٧])[٢].

٢٣- قد يقع التحدي بالكرامة من قبل من حصلت له.

٢٤- لا يشترط في الكرامة إخفاؤها.

٢٥- هناك فروق كثيرة بين آيات الأنبياء وعجائب السحرة والكهان، منها:

---

(١) النبوات (١/ ٥٥٩).

(٢) النبوات (١/ ٥٦٠).

أ- (أنَّ السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتّبعهم.

ب- أنَّ الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلّمه وسعيه واكتسابه، وهذا مجرّبٌ عند الناس، بخلاف النبوة، فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.

ج- أنَّ النبوّة لو قُدِّر أنها تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق والعدل والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به)[1].

٢٦- لم يفرق المعتزلة بين خارق النبي، وخارق الولي والمتنبي والساحر والكاهن، فهذه كلها عندهم من جنس واحد، وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم إلى إنكار ما تواتر من كرامات الصاحين، وما هو معروف من عجائب السحرة والكهان، بدعوى عدم القدح بآيات الأنبياء.

---

(١) النبوات (١/ ٥٥٨).

٢٧- والرد عليهم يكون بإثبات كرامات الأولياء، وعجائب السحرة والكهان، ثم بإثبات الفرقان بين خوارقهم وخوارق الأنبياء.

٢٨- الأشاعرة لا يرون أن خارق العادة الثابت للأنبياء مختص بما يميزه عن غيره من حيث هو، ولكن يميزونه عن غيره بما يقترن به من دعوى النبوة والتحدي وعدم المعارضة، فهم يرون أن الخارق مشترك بين النبي والولي والمتنبي والساحر، إلا أنه يتميز بالقيود السابق ذكرها، وهذا أصل ضلالهم في هذا الباب.

٢٩- لا يشترط في الآية أن تكون مصحوبة بدعوى النبوة.

٣٠- لا يشترط في الآية التحدي بها.

٣١- آيات الأنبياء مختصة بهم، وتدل بنفسها على صدق نبوتهم.

بذا تم المقصود، فالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

خطبة الكتاب..... ٥

الباب الأول: في بيان أهمية معرفة المعتقد الصحيح في آيات الأنبياء..... ٩

الباب الثاني: في ذكر أسماء ما جعله الله أدلة مستلزمة صدق الأنبياء..... ١٣

أسماء ما جعله الله أدلة مستلزمة صدق الأنبياء المذكورة في كلام شيخ الإسلام ثمانية..... ١٤

الآية..... ١٣

البرهان..... ١٥

البينة..... ١٥

العلم..... ١٦

الدليل..... ١٦

المعجزة..... ١٦

على أي شيء يطلق السلف اسم المعجزة..... ١٧

الخارق..... ١٨

العجيب..... ١٨

من استعمل اسم المعجزات أو الخوارق، أو العجائب، فلا بد أن يقيده بما يدل على إرادة آيات الأنبياء به..... ٢٠
الباب الثالث: في ذكر تعريف الآيات شرعًا، واشتراط خرقها لعادة الثقلين..... ٢٣
ما وجد من الثقلين مرة لا يصح جعله آية..... ٢٥
لا يشترط في الآية خرقها لعادة الأنبياء..... ٢٦
لا يشترط في آيات الأنبياء عدم حصولها لأتباعهم..... ٢٧
لا يشترط في آيات الأنبياء خرقها لعادة الملائكة..... ٢٩
الباب الرابع: في بيان كون دلائل النبوة غير محصورة في الآيات..... ٣١
الباب الخامس: في بيان بعض أقسام الآيات..... ٣٧
تقسيمها باعتبار متعلقها..... ٣٧
تقسيمها باعتبار زمنها..... ٤١
أشراط الساعة آيات للأنبياء..... ٤٣
تقسيمها باعتبار عظمتها..... ٤٦
تقسيمها باعتبار التحدي بها..... ٤٨
تقسيمها باعتبار سببها..... ٤٨
تقسيمها باعتبار الاختصاص بها..... ٤٩

الباب السادس: في بيان كون كرامات الأولياء من آيات الأنبياء.....٥٣

الأشاعرة لا يرون كون كرامات الأولياء آيات للأنبياء ومناقشتهم..... ٥٤

الباب السابع: في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء.....٥٧

آيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين بخلاف الكرامات.....٥٧

الكرامات تُنال بالصلاح ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك حتى يأذن الله فيها.....٥٨

آيات الأنبياء منها آيات لا يشاركهم فيها الصالحون، وهي الآيات الكبرى.....٥٨

الباب الثامن: في ذكر فروق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان.....٦١

النبوة لا ينالها أحد باكتسابه.....٦٢

ما يأتي به الكهّان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدورًا للجنّ والإنس.....٦٢

آيات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها.....٦٣

الباب التاسع: في نقد معتقد المعتزلة في آيات الأنبياء.....٦٥
نقل كلام شيخ الإسلام في ذكر كرامات الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الصالحين.....٦٦
نقل كلام شيخ الإسلام في إثبات خوارق السحرة والمتنبين.....٧٤
الباب العاشر: في نقد معتقد الأشاعرة في آيات الأنبياء.....٧٩
آيات الأنبياء مختصة بهم مستلزمة صدقهم.....٨٥
الخاتمة.....٩٣

تم بحمد الله